مرقاة المفاتيح

للعلامة الشيخ علي بن سلطان محمد القاري المتوفى سنة ١٠١٤هـ

شرح مشكاة المصابيح

للإمام العلامة محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٧٤١هـ

تحقيق
الشيخ جمال عيتاني

تنبيه:
وضعنا متن المشكاة في أعلى الصفحات، ووضعنا أسفل منها نص «مرقاة المفاتيح» وألحقنا في آخر المجلد الحادي عشر كتاب «الإكمال في أسماء الرجال» وهو تراجم رجال المشكاة للعلامة التبريزي

الجزء العاشر

يحتوي على الكتب التالية
الفتن - أحوال القيامة وبدء الخلق - الفضائل والشمائل

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ére Étage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P. : 11 - 9424 Beyrouth - Liban

وأوَّلُ مَنْ ينشقُّ عنه القَبرُ، وأوَّلُ شافعٍ، وأوَّلُ مُشَفَّعٍ». رواه مسلم.

٥٧٤٢ ـ (٤) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا أكثرُ الأنبياءِ تبعاً يومَ القيامةِ، وأنا أوَّلُ مَن يقْرَعُ بابَ الجنةِ». رواه مسلم.

٥٧٤٣ ـ (٥) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «آتي بابَ الجنَّةِ

[الإسراء - ٥٥]. **(وأوّل من ينشق عنه القبر)** أي فهو أوّل من يبعث من قبره ويحضر في المحشر كما رواه الترمذي عن أنس: أنا أوّل الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر[(١)]. وفي رواية للترمذي والحاكم عن ابن عمر: «أنا أوّل من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ثم أنتظر أهل مكة»[(٢)]. وفي رواية للترمذي عن أبي هريرة: «أنا أوّل من تنشق عنه الأرض فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري»[(٣)]. وأوّل شافع، أي في ذلك المحضر. وأوّل مشفع، بتشديد الفاء المفتوحة أي أوّل من تقبل شفاعته على الإطلاق في أنواع الشفاعات. وفيه دليل أيضاً على أنه ﷺ أفضل المخلوقات وأكمل الموجودات. **(رواه مسلم.)** وكذا أبو داود. وفي رواية أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أوّل من تنشق عنه الأرض ولا فخر وأنا أوّل شافع وأوّل مشفع ولا فخر.

٥٧٤٢ ـ **(وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أكثر الأنبياء تبعاً)** بفتحتين جمع تابع، أي اتباعاً يوم القيامة لأن أمته ثلثا أهل الجنة على ما سبق في الحديث. وفيه إشعار بأن أكثرية الأتباع توجب أفضلية المتبوع، وكذلك الإمام عاصم من بين القراء. فأبو حنيفة رحمه الله له حظ عظيم ونصيب جسيم من ذلك، فإن غالب أهل الإسلام من أتباعه في فروع الأحكام. **(وأنا أوّل من يقرع)** بفتح الراء أي يدق ويستفتح. **(باب الجنة)** أي فيفتح له فيدخلها **(رواه مسلم.)** وروى ابن النجار عن أنس أيضاً: أنا أوّل من يدق باب الجنة فلم تسمع الآذان أحسن من طنين الحلق على تلك المصاريع.

٥٧٤٣ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: آتي)** أي أجيء **(باب الجنة**

---

(١) أخرجه الترمذي ٥/ ٥٤٦ حديث رقم ٣٦١٠.

(٢) الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٦٥ والترمذي ٥/ ٥٨١ حديث رقم ٣٦٩٢.

(٣) أخرجه الترمذي ٥/ ٥٤٦ حديث رقم ٣٦١١.

الحديث رقم ٥٧٤٢: أخرجه مسلم ١/ ١٨٨ حديث رقم ٣٣١/ ١٩٦.

الحديث رقم ٥٧٤٣: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٨٨ حديث رقم (٣٣٣. ١٩٧). وأحمد في المسند ٣/ ١٣٦.

فكنتُ أنا سَدَدْتُ موضعَ اللبِنةِ، خُتم بيَ البُنيانُ وخُتمَ بي الرسلُ». وفي رواية: «فأنا اللبِنةُ، وأنا خاتَمُ النَّبِيِّينَ». متفق عليه.

٥٧٤٦ ـ **(٨)** وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما من الأنبياءِ من نبي إلا قدْ أُعطي منَ الآياتِ ما مثلُه آمنَ عليه البشرُ،

موضع الاستغراب في ذلك الشأن. **(فكنت)** أي فصرت **(أنا)** ضمير فصل للتأكيد وإفادة الحصر على وجه التأبيد. **(سددت موضع اللبنة)** أي لكوني خاتم النبيين **(ختم بي البنيان)** حال أو استئناف بيان. والمراد به بنيان الدين المشبه بذلك البنيان. **(وختم بي الرسل)** الظاهر أنهم هنا بمعنى الأنبياء إما على القول بالترادف، أو باعتبار التجريد، لأن الرسول نبي أمر بالتبليغ. ويدل عليه قوله: **(وفي رواية: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)** بكسر التاء ويفتح فيه إيماء إلى ما ورد عنه ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(١). قال الطيبي: هذا من التشبيه التمثيلي شبه الأنبياء وما بعثوا به من الهدى والعلم وإرشادهم الناس إلى مكارم الأخلاق، بقصر شيد بنيانه وأحسن بناؤه. لكن ترك منه ما يصلحه وما يسد خلله من اللبنة فبعث نبينا لسد ذلك الخلل، مع مشاركته إياهم في تأسيس(٢) القواعد ورفع البنيان. هذا على أن يكون الاستثناء منقطعاً. ويجوز أن يكون متصلاً من حيث المعنى، إذ حاصل المعنى تعجبهم المواضع إلا موضع تلك اللبنة، وليس ذلك المصلح إلا ما اختص به من معنى المحبة وحق الحقيقة الذي يعتنيه أهل العرفان. وقوله: أنا سددت موضع اللبنة. يحتمل أن يكون هو الساد بلبنة ذلك الموضع وأن يسده بنفسه ويكون بمنزلة اللبنة. ويؤيد هذه الرواية الأخرى من قوله: فأنا اللبنة **(متفق عليه)**.

٥٧٤٦ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: ما من الأنبياء من نبي)** زيد من الثانية للمبالغة والأولى للتبعيض. والمعنى ليس نبي من الأنبياء. **(إلا قد)** وفي الجامع إلا وقد **(أعطي من الآيات)** أي المعجزات وخوارق العادات. ومن بيان لما في قوله: **(ما مثله آمن عليه البشر)** وهي موصولة ومثله مبتدأ وآمن خبره. وعليه يتعلق بآمن لتضمنه معنى الاطلاع كأنه قال: آمن للاطلاع عليه البشر، أو بحال محذوف. أي آمن البشر واقفاً أو مطلعاً عليه، والمفعول محذوف. والمعنى: أن كل نبي قد أعطي من المعجزات ما إذا شوهد واطلع عليه دعا الشاهد إلى تصديقه، فإذا انقطع زمانه انقطعت تلك المعجزة. هذا خلاصة كلام بعض الشراح من علمائنا. وقال الطيبي: من فيه بيانية، ومن الثانية زائدة تزاد بعد النفي. وما في ما مثله موصولة وقعت مفعولاً ثانياً لأعطي، ومثله مبتدأ وآمن خبره، والجملة صلة الموصول. والراجع إلى الموصول ضمير المجرور في عليه وهو حال، أي مغلوباً عليه في

---

(١) أخرجه أحمد عن أبي هريرة بلفظ «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» ٢/ ٣٨١.

(٢) في المخطوطة «تأييد».

الحديث رقم ٥٧٤٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٩/ ٣. حديث رقم ٤٩٨١. أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٣٤ حديث رقم (٢٣٩ . ١٥٢). وأحمد في المسند ٢/ ٣٤١.

وإِنما كانَ الذي أُوتيتُ وحياً أَوْحى اللّهُ إِليّ، وأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعاً يومَ القيامةِ». متفق عليه.

٥٧٤٧ ـ (٩) وعن جابرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أُعطيتُ خمساً لم يُعطهُنَّ أحدٌ قبلي: نُصرتُ بالرُّعبِ مسيرةَ شهرٍ،

التحدي والمباراة. والمراد بالآيات المعجزات. وموقع المثل هنا موقعه في قوله تعالى: ﴿**فأتوا بسورة من مثله**﴾ [البقرة ـ ٢٣]. أي مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم. يعني: ليس نبي من الأنبياء إلا قد أعطاه الله تعالى من المعجزات الدالة على نبوّته الشيء الذي من صفته، أنه إذا شوهد اضطر الشاهد إلى الإيمان به. وتحريره أن كل نبي اختص بما يثبت دعواه من خارق العادات بحسب زمانه، فإذا انقطع زمانه انقطعت تلك المعجزة، كقلب العصا ثعباناً في زمان موسى عليه السلام، وإخراج اليد البيضاء، لأن الغلبة في زمنه للسحر فأتاهم بما هو فوق السحر واضطرهم إلى الإيمان. وفي زمن عيسى عليه السلام الطب فأتاهم بما هو أعلى من الطب، وهو إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص. وفي زمن رسولنا ﷺ البلاغة والفصاحة فجاء القرآن وأبطل الكل. اهـ. وفيه تأمل من جهة قوله: أبطل الكل. فالصواب أن يقال: فجاء القرآن معجزة مشتهرة دائمة إلى انقراض الزمان، بل أبد الآباد لما يتلى في درجات الجنان، بل يسمع من كلام الرحمٰن. وهذا معنى قوله: (**وإنما كان الذي أوتيت**) وفي الجامع أوتيته، والموصول صفة لمحذوف. أي كان خرق العادة الذي أعطيته بالخصوص. (**وحياً**) أي كلاماً منزلاً علي، نزل به الروح الأمين. (**أوحى الله إلي**) أي لا غيره، فالمراد بالوحي هنا القرآن الذي هو في نفسه دعوة وفي نظمه معجزة وهو لا ينقرض بموته كما تنقرض معجزات غيره. قال القاضي وغيره: أي معظم الذي أوتيت وأفيده إذ كان له غير ذلك معجزات من جنس ما أوتيه [غيره]. والمراد بالوحي القرآن البالغ أقصى غاية الإعجاز في النظم. والمعنى وهو أكثر فائدة وأعم منفعة من سائر المعجزات، فإنه يشتمل على الدعوات والحجة ويستمر على مر الدهور والأعصار، وينتفع به الحاضرون عند الوحي المشاهدون له والغائبون عنه والموجودون بعده إلى يوم القيامة على السواء. ولذلك رتب عليه قوله: (**فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**) وقد حقق الله رجاءه كما تقدم والله أعلم. (**متفق عليه.**) ورواه أحمد.

٥٧٤٧ ـ (**وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أعطيت خمساً**) أي من الخصائل والفضائل (**لم يعطهن أحد قبلي**) أي من الأنبياء، فمن المحال أن يعطى أحد بعده من الأولياء. (**نصرت**) أي نصرني ربي على أعدائي. (**بالرعب**) بضم فسكون وبضمتين، أي بخوف العدوّ مني. (**مسيرة شهر**) أي في قدر مسيرة شهر بيني وبينه من قدام أو وراء. وفي

الحديث رقم ٥٧٤٧: أخرجه البخاري ١/ ٤٣٥. حديث رقم ٣٣٥. ومسلم ١/ ٣٧٠ حديث رقم (٣/ ٥٢١). والنسائي في السنن ١/ ٢٠٩ حديث رقم ٤٣٢.

وجُعلتْ لي الأرضُ مسجداً وطَهوراً فأيُّما رجلٍ من أُمَّتي أدركتْه الصَّلاةُ فليُصلِّ، وأُحلَّتْ لي المغانمُ ولم تحلَّ لأحدٍ قبلي، وأُعطيتُ الشَّفاعةَ، وكانَ النبيُّ يُبعثُ إلى قومه خاصَّةً وبُعثْتُ إلى النَّاسِ عامَّةً». متفق عليه.

شرح الطيبي: الرعب الفزع والخوف، وقد أوقع الله تعالى في قلوب أعداء النبي ﷺ الخوف منه، فإذا كان بينه وبينهم مسيرة شهر هابوا وفزعوا منه. **(وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)** في شرح السنة: أراد أن أهل الكتاب لم تبح لهم الصلاة إلا في بيعهم وكنائسهم. وأباح الله عزَّ وجلَّ لهذه الأمة الصلاة حيث كانوا تخفيفاً عليهم وتيسيراً، ثم خص من جميع المواضع الحمام والمقبرة والمكان النجس. وقوله: طهوراً أراد به التيمم. اهـ. وفي الحمام والمقبرة تفصيل قدمناه. وقيل: معناه أنهم كانوا لا يصلون إلا فيما تيقنوا طهارته من الأرض. وخصصنا بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا فيما تيقنا نجاسته، ثم صرح بعموم هذا الحكم وفرع على ما قبله بقوله: **(فأيما رجل)** أي شخص **(من أمتي أدركته الصلاة)** أي وجبت عليه ودخل وقتها في أي موضع. **(فليصل)** أي في ذلك الموضع بشروطه المعتبرة في صحة الصلاة. **(وأحلت لي المغانم)** أي الغنائم، وهي الأموال المأخوذة من الكفار. **(ولم تحل)** وفي نسخة بصيغة المجهول، أي لم تبح الغنائم. **(لأحد قبلي)** أي من الأنبياء بل غنائمهم توضع فتأتي نار تحرقها، هكذا أطلقه بعض الشراح من علمائنا. وقال ابن الملك: أي من قبلنا من الأمم إذا غنموا الحيوانات يكون ملكاً للغانمين دون الأنبياء، فخص نبينا ﷺ بأخذ الخمس والصفيّ، وإذا غنموا غيرها جمعوه، فتأتي نار فتحرقه. أقول: ولعل الحكمة في إحراق الغنيمة تحصيل تحسين النية وتزيين الطوية في مرتبة الإخلاص في الجهاد، والله أعلم بالعباد ورؤوف بالعباد. **(وأعطيت الشفاعة)** أل فيه للعهد، أي الشفاعة العامة للإراحة من المحشر المعبر عنها بالمقام المحمود الذي يغبطه عليه الأوّلون والآخرون. **(وكان النبي)** اللام فيه للاستغراق، أي وكان كل نبي من قبلي. **(يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس)** أي إلى أقوام مختلفة منهم غير مختص بقوم من العرب. **(عامة)** أي شاملة للعرب والعجم. قال الطيبي: التعريف في النبي لاستغراق الجنس وهو أشمل من لو جمع، لما تقرر في علم المعاني أن استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع، لأن الجنسية في المفرد قائمة في وحدانه، فلا يخرج منه شيء. وفي الجمع فيما فيه الجنسية من الجموع فيخرج منه واحد أو اثنان على الخلاف، في أن أقل الجمع اثنان أو ثلاثة. اهـ. وقيل: اللام فيه للجنس عند النحويين، وللعهد عند الأصوليين. وهو لبيان الماهية المتعلقة بالذهن، لا لتعيين الذات. وتلك الماهية هي النبوّة. **(متفق عليه.)** ورواه النسائي. وفي رواية أحمد عن علي كرم الله وجهه: أعطيت ما لم يعطه أحد من الأنبياء قبلي، نصرت بالرعب وأعطيت مفاتيح الأرض وسميت أحمد، وجعل لي التراب طهوراً وجعلت أمتي خير الأمم[1]. وروى الحرث وابن مردويه عن أنس ولفظه: أعطيت ثلاث خصال: أعطيت صلاة في الصفوف وأعطيت السلام. وهو تحية أهل الجنة وأعطيت آمين ولم يعطها أحد ممن

---

(١) أحمد في المسند ١/ ٩٨.